البَابُ السَّابِعُ والعِشْرُونَ

في الفرق بين الإظهار والإفشاء والجَهْر

أن الإفشاء كثرة الإظهار ومنه أفشى القوم إذا كثر ما لهم مثل أمشوا والفشاء كثرة المال ومثله المشاء وقريب منه النماء والضياء، وقد أنمى القوم وأصبوا وأمشوا وأفشوا إذا كثر ما لهم، ولهذا يقال: فشى الخير في القوم أو الشر إذا ظهر بكثرة وفشا فيها الحرب إذا ظهر وكثر، والإظهار يستعمل في كل شيء والإفشاء لا يصح إلا فيما لا تصح فيه الكثرة ولا يصح في ذلك ألا ترى أنك تقول: هو ظاهر المروءة ولا تقول: كثير المروءة.

«الفرق» بين الجهر والإظهار أن الجهر عموم الإظهار والمبالغة فيه، ألا ترى أنك إذا كشفت الأمر للرجل والرجلين قلت أظهرته لهما ولا تقول جهرت به إلَّا إذا أظهرته للجماعة الكثيرة فيزول الشك ولهذا قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[النساء:١٥٣] أي عيانًا لا شك معه، وأصله رفع الصوت يقال جهر بالقراءة إذا رفع صوته بها وفي القرآن: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[الإسراء:١١٠] أي بقراءتك في صلاتك، وصوت جهير رفيع الصوت ولهذا يتعدى بالباء فيقال جهرت به كما تقول رفع صوته به لأنه في معناه وهو في غير ذلك استعارة، وأصل الجهر إظهار المعنى للنفس وإذا أخرج الشيء من وعاء أو بيت لم يكن ذلك جهرًا وكان إظهارًا، وقد يحصل الجهر نقيض الهمس لأن المعنى يظهر للنفس بظهور الصوت.

«الفرق» بين الجهر والكشف أن الكشف مضمن بالزوال ولهذا يقال لله عز وجل: كاشف الضر ولا يجز في نقيضه ساتر الضر لأن نقيضه من الستر ليس متضمنًا بالثبات فيجري مجراه في ثبات الضر كما جرى هو في زوال الضر والجهر غير مضمن بالزوال.

«الفرق» بين الإعلان والجهر أن الإعلان خلاف الكتمان وهو إظهار المعنى للنفس ولا يقتضي رفع الصوت به، والجهر يقتضي رفع الصوت به ومنه يقال رجل جهير وجهوري إذا كان رفيع الصوت.

«الفرق» بين البدُوِّ والظهور أن الظهور يكون بقصد وبغير قصد تقول استتر فلان ثم ظهر ويدل هذا على قصده للظهور، ويقال ظهر أمر فلان وإن لم يقصد لذلك فأما قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم:٤١] فمعنى ذلك الحدوث وكذلك قولك ظهرت في وجهه حمرة أي حدثت ولم يعن أنها كانت فيه فظهرت، والبدو ما يكون بغير قصد تقول بدا البرق وبدا الصبح وبدت الشمس وبدا لي في الشيء لأنك لم تقصد للبدو، وقيل في هذا بدو وفي الأول بدء وبين المعنيين فرق والأصل واحد.

«الفرق» بين الكتمان والإخفاء والستر والحجاب وما يقرب من ذلك أن الكتمان هو

السكوت عن المعنى وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة:١٥٩] أي يسكتون عن ذكره، والإخفاء يكون في ذلك وفي غيره، والشاهد أنك تقول أخفيت الدرهم في الثوب ولا تقول كتمت ذلك وتقول: كتمت المعنى وأخفيته فالإخفاء أعم من الكتمان.

«الفرق» بين قولك سترته وبين قولك كَنَنْتُ أن معنى كننته: صِنته والموضع الكنين هو المصون وذلك أنه يكون كنينًا وإن لم يكن مستورًا، وقيل الدر المكنون لأنه في حق يصان فيه، وجارية مكنونة في الحجاب أي مصونة قال الأعشى:

* وبَيْضَةٌ في الدَّعْصِ مَكْنُونَةٌ *(١)

والبيضة ليست بمستورة وإنما هي مصونة عن الترجرج والانكسار، واكتننت الشيء في نفسي إذا صنته عن الأداء ودخلت فيه الألف واللام على معنى جعلت له كذا، وفي القرآن: ﴿ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ [النمل:٤٧].

«الفرق» بين الغِشاء والغِطاء أن الغشاء قد يكون رقيقًا يبين ما تحته ويتوهم الرائي أنه لا شيء عليه لرقته، ومن ثم سميت أغشية البدن وهي أعصاب رقيقة قد غشي بها كثير من أعضاء البدن مثل الكبد والطحال فالغطاء يقتضي ستر ما تحته والغشاء لا يقتضي ذلك ومن ثم قيل غشي على الإنسان لأن ما يعتريه من الغشي ليس بشيء بين والغطاء لا يكون إلا كثيفًا ملاصقًا، وقيل الغشاء يكون من جنس الشيء والغطاء ما يقتضيه من جنسه كان أو من غير جنسه ولذلك تقول: تغطيت بالثياب ولا تقول تغشيت بها فإن استعمل الغشاء موضع الغطاء فعلى التوسع.

«الفرق» بين الغطاء والستر أن الستر ما يسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقًا لك مثل الحائط والجبل، والغطاء لا يكون إلا ملاصقًا ألا ترى أنك تقول تسترت بالحيطان ولا تقول تغطيت بالحيطان وإنما تغطيت بالثياب لأنها ملاصقة لكن والغشاء أيضًا لا يكون إلا ملاصقًا.

«الفرق» بين السّتر والحجاب والغطاء أنك تقول: حجبني فلان عن كذا ولا تقول سترني عنه ولا غطّاني، وتقول احتجبت بشيء كما تقول تسترت به فالحجاب هو المانع والممنوع به والستر هو المستور به، ويجوز أن يقال حجاب الشيء ما قصد ستره؟! ألا ترى أنك لا تقول لمن منع غيره من الدخول إلى الرئيس داره من غير قصد المنع له أنه حجبه، وإنما يقال حجبه إذا قصد منعه ولا تقول احتجبت بالبيت إلا إذا قصدت منع غيرك عن مشاهدتك. ألا ترى أنك إذا جلست في البيت ولم تقصد ذلك لم تقل إنك قد احتجبت؟ وفرق آخر أن الستر لا يمنع من الدخول على المستور والحجاب يمنع.

(١) الدَّعْص: قطعة من الرمل مستديرة، والجمع دِعصة وأدعاص.